(١٩)
محبَّة الله ورسوله

الخطبة الأولى :

أما بعد ، فيا أيها الأخوة المسلمون :

تحدَّثنا عن مجموعة من أعمال القلوب . من العبادات الباطنة . من مقامات الصَّالحين ومنازل السائرين إلى الله تبارك وتعالى .

تحدَّثنا عن الورع ، والزهد ، والتوكل ، والشكر ، والصبر ، والمراقبة ، والمحاسبة .

محبة الله ورسوله أعظم مايتنافس فيه المتنافسون :

ونتحدَّث اليوم عن مقامٍ من أعظم مقامات الدِّين ، ومنزل من أعلى منازل الصَّالحين وهو : المحبة . محبة الله ورسوله . هذا أعظم ما يحرص عليه الحريصون ، ويتنافس فيه المتنافسون ، ويسعى إليه المُشمِّرون .

أنت مع من أحبَبْت :

جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ يسأله عن الساعة : متى الساعة؟ قال : « ما أعددتَ لها؟» . قال : يا رسول الله ، ما أعددتُ لها كبيرَ صيامٍ ولا صلاةٍ ولا صدقة ، ولكنِّي أحبُّ اللهَ ورسولَهُ . قال : « أنت مع من أحببتَ»[1] . ما دمت تحبُّ الله ورسوله فأنت مع من أحببت .

محبة الله ورسوله هي الغاية التي ينتهي إليها العاملون .

أصناف الناس في المحبة :

النَّاس في المحبة أنواع . معظم الناس لهم محبوبات شتَّى ، ولكنَّها تافهة هالكة : هناك مَنْ محبوبُه الدِّينار والدِّرهم ، إليه يسعى ، ومن أجله يتعب ، وفي سبيله يقاتل .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في فضائل الصحابة (٣٦٨٨) ، ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٩) ، كما رواه أحمد (١٢٠٧٥) ، والترمذي في الزهد (٢٣٨٥) ، عن أنس بن مالك .

OBEIKAN.COM

هناك مَنْ محبوبُه الجاه والمنصب ، أو الشُّهرة والمَحْمَدَة .

هناك من محبوبه الكاس والطَّاس ، واللَّيالي الحمراء .

هناك من محبوبه امرأة يحني رأسه ، أو يذلُّ نفسه لأجلها .

هناك من أحبوا الدُّنيا وشهواتها : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ (آل عمران:١٤،١٥) . هؤلاء (الذين اتقوا) لا ترنو أبصارهم ، ولا تَشْرئبُّ أعناقهم ، ولا تتعلَّق قلوبهم ، إلا بما هو أغلى من الدُّنيا ، وأخْلَد من الدُّنيا ، وأعظم من الدُّنيا ، إنَّما يتعلَّقون بالله تعالى وبمثوبته . وما أحبوا الجنَّة إلا لأنَّها محلُّ رضوانه ، ومظهر كرامته ، وموضع رحمته . ولذلك كان رضوان الله في الجنَّة أكبر من كلِّ نعيم الجنَّة ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (التوبة:٧٢).

أعظم ما يراه أهل الجنة :

أعظم ما يراه أهل الجنَّة هو انكشاف الحجاب بينهم وبين الله تبارك وتعالى ، حين يكون الكفَّار محجوبين عن ربِّهم ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (المطففين:١٥) ، ترى أولئك يَنْعَمُون بالنَّظر إلى وجْهِ الله تبارك وتعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة:٢٢،٢٣).

محبَّة الله ومحبَّة رسوله هي الغاية ترنُو إليها بصائر المؤمنين . أن يُحبُّوا اللهَ ورسولَهُ وأن يُحبِّهم اللهُ ورسولُه هي الغاية .

يحبهم ويحبونه :

وَصَفَ الله عباده المؤمنين الذين ادَّخرهم لِنُصرة الإسلام حين يرتدُّ المرتدون ، ويَمْرُقُ من الدِّين المَارِقُون فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن

﴿ يَشَآءُ ﴾ (المائدة:٥٤) . أول أوصافهم أنهم : يُحبُّهم ويُحبُّونه ، الله يُحبُّهم وهم يُحبُّون الله ، محبَّة مُتَبَادَلة بينهم وبين ربِّهم ، أولئك الَّذين ينصرون الإسلام .

أسباب محبة الله تعالى :

وكيف لا يُحِبُّ الإنسانُ الله؟ كيف لا يُحبُّ الإنسانُ ربَّه؟

كلُّ أسباب المحبَّة الَّتي من أجلها يُحبُّ الإنسان الأشياء أو الأشخاص إنما تكتمل بالنِّسبة لمحبَّة الله تبارك وتعالى :

حُب الإنسان لذاته يجعله يحبُّ الله :

١- الإنسان يُحبُّ نفسه ، يُحبُّ ذاته ، وهذا يجعله يُحبُّ الله قبل كلِّ شيء ، لأنَّ وجود ذاته من الله ، ودوام وجوده من الله ، وكمال وجوده من الله ، إذ لا قيام له بنفسه ، هو مُحْدَثٌ مخلوق لم يكن شيئًا مذكورًا ثم كان ، من الَّذي أخرجه من ظلمة العدم إلى نور الوجود؟ من الَّذي جعله شيئًا مذكورًا؟ من الَّذي أمدَّه حتى يظلَّ قائمًا . إنَّه (الله) . الإنسان لا وجود له من ذاته ولا بذاته ، إنَّما وجوده بربه عزَّ وجلَّ . فمن كان يحبُّ نفسه ويحبُّ ذاته ، فليحبَّ من أنعم عليه بوجود الذَّات ، ودوام الوجود ، وكمال الوجود .

حبُّ الإنسان لمن أحسن إليه يجعله يحبُّ الله :

٢- الإنسان يُحبُّ من أحسن إليه ، مَنْ أسْدى إليك معروفًا بغير عوض ولا منفعة يرجوها منك تُحبُّه ، مَنْ علَّمك لوجه الله واستفدت منه شيئًا تُحبُّه ، مَنْ شفاك الله على يديه وكان معك رقيقًا رفيقًا في طبِّه وعلاجه تُحبُّه ، كلُّ مَنْ أسدى إليك خدمةً أو إحسانًا تُحبُّه ، فالإنسان أسير الإحسان ، ولهذا قال الشاعر قديمًا :

أَحْسِن إلى الناس تَسْتَعْبِد قُلُوبَهُمُ فَطَالَمَا استعبدَ الإنسانَ إِحْسَانُ[1]

---

(١) من شعر أبي الفتح البستي .

ولكنَّ مصدر الإحسان كلُّه هو الله تبارك وتعالى . كلُّ ما يحيط بك من نعم من قَرْنك إلى قدمك ، عندما كنت صغيرًا ، وبعد أن صرت شابًّا ، وحينما تُصبح كهلاً ، وحينما تَغْدو شيخًا ، اللهُ هو صاحب النِّعم عليك . بل عندما كنت جنينًا في بطن أمِّك فَلُطْفُ الله تبارك وتعالى بك وفَضْلُ اللهِ عليك دائم ، أسبغ عليك نِعَمَه ظاهرةً وباطنةً ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النحل:٥٣) ، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (النحل:١٨) .

حتى الإنسان الذي يُسْدي إليك معروفًا أو يقدّم إليك خدمة أو يسهل عليك عملاً ، الله هو الذي يسَّره لك ووفَّقه لهذا العمل ، فالنِّعم كلُّها في البداية والنهاية من الله وإلى الله .

فإذا كنت تُحبُّ مَنْ يُحْسِنُ إليك فأحبَّ الله تبارك وتعالى ، كما قال النبي ﷺ : «أحبُّوا الله لما يَغْذوكم من نِعَمِه ، وأحبُّوني بحُبِّ الله ، وأحبُّوا أهل بيتي لحبِّي»[1] . الله هو الذي يَغْذُوكُم بالنِّعم ، لولا نعمه ما كُتِبَت لكم الحياة ولا استمرَّت بكم الحياة .

حبُّ الإنسان للجمال : يجعله يحب الله :

٣- الإنسان يحبُّ الجمال ، ولذلك نجد بعض الناس يحبُّون المناظر الطَّبيعيَّة ، يُحبُّون الخُضْرة والماءَ والوجهَ الحسن ، يُحبُّون الوجوهَ الجميلة ، قد يكون حبًّا بريئًا أو غير بريء ولكن بفطرة الله تعالى في الأنفس يُحبُّ الناسُ الجمال . ومصدر الجمال كلُّه هو الله تبارك وتعالى ، هو الجميل الذي وهب الجمال لكلِّ شيء .

ليس كل الجمال في الصُّورة ، هناك جمال باطن . قد يُحبُّ الإنسان إنسانًا إذا نظر إلى وجهه أو صورته لا يعتبره شيئًا ، ولكن هناك جمالاً في أخلاقه . في معاملته . في عقله ، في علمه ، في سيرته ، في تدبيره ، فيُحبُّه الإنسان لهذا .

---

(١) رواه الترمذي في المناقب (٣٧٩٨) ، وقال : حسن غريب ، والحاكم في معرفة الصحابة (١٤٩/٣) ، وصحَّح إسناده ، ووافقه الذهبي مع أنه قال في الميزان (١١٢/٤): في ترجمة (عبد الله ابن سليمان النوفلي) فيه جهالة ، ما حدث عنه سوى هشام بن يوسف ، ثم أورد له هذا الحديث ، عن عبد الله بن عباس ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٧٦) .

OBEIKAN.COM

والجمال الإلهي جمالٌ فوق كل جمال ، لا يُدرك بالبصر إنما يُدرك بنور البصيرة ، فالله هو مصدر الجمال كلِّه . ولذلك من أحبَّ الجمال فَلْيحبَّ الله الذي بثَّ الجمال في الكون كلِّه ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ (السجدة:٧) ، ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (النمل:٨٨) .

ولذلك إذا كان الشَّاعر ـ كما قالوا ـ يرى الجمال في كلِّ شيء ، حتى في النَّبتة في الأرض أو النِّجمة في السَّماء ، فإنَّ المؤمن يرى جمال الله تعالى في كلِّ شيء ، ينظر إلى كلِّ جميل في الدنيا فيرى أنَّ الله هو صانع هذا الجمال وخالق هذا الجمال ، فيحبُّ الله تبارك وتعالى .

حب الإنسان للكمال يجعله يحب الله :

٤- الإنسان يحبُّ الكمال ، أولع الإنسان بُحبِّ الكمال ، ولذلك نجد الناس يُحبُّون العباقرة . يحبُّون النَّوابغ . يُحبُّون الأبطال والشُّجعان ، حتى أنَّ كثيرًا من عوام الناس نجدهم إذا قرأوا قصصًا مثل قصة عنترة بن شداد وقد كان رجلاً في الجاهلية ، أو قصة أبي زيد الهلالي أو نحو ذلك ، يتعلَّقون بهؤلاء الأبطال .

وأحيانا تقف القصة على موقف معيَّن : أن أُسر ، أو هرم ، أو نحو ذلك ، فلا ينام اللَّيلَ كلَّه لأنَّه مشغوف بهذا البطل! ذلك من حبِّ الإنسان للكمال .

ولكن الكمالات البشرية كلُّها كمالات نسبية ، وكلُّها كمالات مخلوقة ، مُسْتَمَدَّة من كمال الخالق الأعظم الَّذي وَهَبَ كلَّ كمال لأصحابه .

الكامل المطلق هو (الله) تبارك وتعالى ، إنه مُتَّصفٌ بكلِّ كمال ، مُنزَّه عن كلِّ نقص . كمالات الله تعالى لا تتناهى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف:١٨٠). هو صاحب الأسماء الحُسْنى والصِّفات العُلى ، ولهذا تتوجَّه أنفس المؤمنين إليه إذا عَرَفوه حقَّ معرفته .

المحبة تتحقق بالمعرفة :

ولذلك لا تتحقَّق المحبَّة إلا بالمعرفة ، مَنْ عَرَفَ الله حقَّ معرفته أحبَّه . وكلَّما ازدادت المعرفة ، ازداد الحُبُّ لله عزَّ وجلَّ . ولذلك كان الأنبياء أكثرَ الناس حبًّا لله

OBEIKAN.COM

تبارك وتعالى ، وكان محمَّدٌ ﷺ أشدَّ الناس حبًّا لربِّه ، لأنَّه أعرفهم به سبحانه وتعالى .

إذا عرفنا الله ، وعرفنا كماله ، وعرفنا جماله ، وعرفنا إحسانه ونعمه ، فإنَّنا نحبُّه ، بل لا نحبُّ إلا إيَّاه ، ولا يستحقُّ الحبَّ غيره .

حُبُّ المشركين غير الله :

للأسف هناك أناس أحبُّوا غير الله ، حتى وجدنا الكفَّار يُحبُّون أصنامهم . وهناك من يُحبُّ أصنامًا وإن لم تكن من حجارة ، يحبُّون أهواءهم وشهواتهم أو نحو ذلك ، وفي هذا يقول تبارك وتعالى : ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ** ﴾ (البقرة:١٦٥) اتَّخذوا شركاء يشركون مع الله تعالى في الحُبِّ والولاء ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ (البقرة:١٦٥) لا يضاهيهم أحدٌ ، ولا يدانيهم أحدٌ في حُبِّ الله تبارك وتعالى .

هذه هي أسباب المحبة .

علامات المحبة :

ولكن ما المحبَّة ؟ هل لها علامات ؟ هناك من يدَّعي أنه يُحبُّ الله ، ولكن ما أكثر الدَّعوى وما أعزّ المعنى . ليست المحبَّة كلامًا يقال . المحبَّة شعور يستولي على القلب يظهر أثره بعد ذلك في أعمال الإنسان كلِّها . في قوله وفعله وتركه وعلاقته بربِّه وعلاقته بخلقه .

اتِّباع منهج الله :

١- **أول علامات المحبة** : أن يتَّبع الإنسان منهجَ الله عزَّ وجلَّ . من ادَّعى محبَّة الله فعليه أن يسلك الطَّريق الذي رسمه الله عزَّ وجلَّ ، وإلا كانت المحبَّة دعوى بلا معنى ، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى لرسوله : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ (آل عمران:٣١) .

علامة محبَّته : اتِّباع منهج الله الذي دَعَا إليه رسوله ﷺ : ﴿ **فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾. أما أن تُدَّعي المحبَّة ، ولكنَّ الإنسان يدع طريق ربِّه إلى سُبُل الشَّياطين عن يمين وشمال ، فهذا ليس من المحبَّة في شيء ، كما قال الإمام عبد الله بن المبارك :

تعصي الإلهَ وأنـتَ تُظْهـر حُبَّـه هذا لَعَمْـري في الفعـال بـديع
لو كان حُبُّـك صـادقًا لأَطَعْتَـهُ إنَّ المُحِـبَّ لِمَـنْ يُحِـبُّ مُطيـع

ولذلك علامة المحبَّة لله ولرسوله : طاعة الله ورسوله ، والالتزام بمنهج الله عزَّ وجلَّ وبسُنَّة رسوله ﷺ .

هكذا كان الصَّحابة رضوان الله عليهم . كانوا يُحبُّون الله ويحبُّون رسوله ﷺ ، بما لم يعرف في التَّاريخ مثله ، حتى إنَّ أحدهم جيء به على خشبة الصَّلب ليُصْلَب قيل له : أتُحبُّ أن يكون محمد في مكانك وأنت في بيتك بين أهلك وولدك؟ قال : والله ما أُحبُّ أن يكون رسولُ الله ﷺ في مكانه الَّذي هو فيه تصيبه شوكة في قدمه . فقال المشركون : ما رأينا أحدًا يحبُّ أحدًا كحُبِّ أصحاب محمدٍ لمحمد[1]!

وإنما أحبُّوا رسول الله لأنه دليلهم إلى الله ، وهاديهم إلى طريق الله . مَنْ أحبَّ الله ، أحبَّ مَنْ أرسله الله إليه ومَنْ دلَّهم عليه .

موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه :

٢- علامة محبة الله : أن تُحِبَّ أحبابه ، وتُوالي أولياءه ، وتُعادي أعداءه .

وفي الحديث الصحيح المتفق عليه : أن النبي ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار »[2]

الإحسان :

٣- إذا كنت تُحبُّ الله وتُحبُّ أن يُحبَّك ، فكن محسنًا ، سواء فسَّرنا الإحسان بالإحسان إلى الناس كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(البقرة:١٩٥)، أو فسَّرنا

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢/٧٨ ، ٧٩) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الإيمان (١٦) ، ومسلم في الإيمان (٤٣) ، كما رواه أحمد (١٢٠٠٢) ، والنسائي في الإيمان (٤٩٨٧) عن أنس .

OBEIKAN.COM

الإحسان بإتقان العمل كما جاء في الحديث : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »[1].

إذا شئت أن يحبَّك الله ، فأحسن إلى الناس ، وأحسن عملك .

التوكل على الله :

٤- إذا شئت أن يُحبَّك الله ، فاعتصم بالتَّوكل على الله ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(آل عمران:١٥٩).

تقوى الله :

٥- إذا كنت حريصًا على أن يحبَّك الله ، فكن من أهل التقوى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:٧٦) .

التَّطُّهر حسًّا ومعنىً :

٦- الطهارة الحسيَّة والمعنويَّة : إذا كنت حريصًا على محبَّة الله ، فتطهَّر دائمًا ، تَطَهُّرًا حسيًّا ، وتطهُّرا معنويا . تطهَّر من النَّجاسات والأقذار ، وتطهَّر من السَّيئات والأوزار ، فقد وصف الله قوما بقوله : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة:١٠٨) .

التوبة :

٧- إذا أردتَ أن يُحبَّك الله ، فتُب إلى الله كلَّما نزلت بك معصية أو زلَّت قدمك إلى ما يُسخط الله تبارك وتعالى . ارجع بسرعة إليه ، وبادر لتقرع باب التوبة ، فـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة:٢٢٢).

الصبر :

٨- إذا أردتَ أن يُحبَّك الله ، فاصبر على ما ينزل بك من بلاء ، يقول الله تعالى في شأن الرَّبَّانيين الَّذين أصابهم ما أصابهم في سبيل الله : ﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(آل عمران:١٤٦).

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٧٦ .

OBEIKAN.COM

الجهاد في سبيل الله عز وجل :

٩- إذا أردت أن يُحبَّك الله عزَّ وجلَّ ، فَضَع يدك في يد إخوانك في المعركة عندما يدعُو داعي الجهاد ، كُنْ معهم في سبيل الله فـ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (الصف:٤) .

موانع محبة الله للعبد :

أما إذا كنت تخشى أن لا يُحبَّك الله عزَّ وجلَّ ، فابتعد عن كلِّ ما لا يُحبُّه الله تبارك وتعالى :

١- الظُّلم والاعتداء :

لا تظلم ، فإنَّ الله لا يُحبُّ الظَّالمين . لا تعتدي على حُرمةِ أحدٍ أو حقِّ أحد ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة:١٩٠).

٢- الاختيال :

لا تَختَل بنفسك ، ولا تَفْتَخر على غيرك ، فإنَّ الله ﴿ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان:١٨).

٣- الخيانة :

لا تكن خائنًا ، فإنَّ الله لا يُحب الخائنين ، والله ﴿ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (النساء:١٠٧).

٤- الكفر بنعمة الله :

لا تكن كافرًا بنعمة الله ، فقد قال الله تعالى في شأن أهل الربا : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة:٢٧٦) .

٥- الإفساد في الأرض :

لا تفسد في الأرض ، فقد قال الله تعالى في شأن اليهود : ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة:٦٤) .

OBEIKAN.COM

لا تسْعَ في أيِّ شيء يُغضب الله تبارك وتعالى ، ولا تكن ممَّن لا يُحبُّهم الله عزَّ وجلَّ ، وقد ذكر لنا الكثير من هؤلاء الأنواع الذين لا يُحبُّهم الله تبارك وتعالى . ابتعد عن هؤلاء ، ابحث عمَّن يحبُّهم الله ، واسْلُك نفسك في زُمرتهم ، وتشبَّه بهم إن لم تكن منهم :

فتشبَّهوا إن لم تكونـوا مثلـهم إنَّ التَّشـبُّه بالرِّجـال فـلاح

طريق محبَّة الله يتطلَّب عزمًا وتصميمًا :

إذا أردت أن يُحبَّك الله عزَّ وجلَّ ، فاعلم أنَّ طريق محبَّة الله طويل ، ولكن من سار على الدَّرب وصل . المهم هو النِّيَّة والتصميم :« وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى »[1].

التقرُّب إلى الله بالفرائض والنوافل :

أدِّ فرائض الله تبارك وتعالى ، وزِدْ على ذلك بالنَّوافل ، فقد جاء في الحديث القدسي الذي رواه البخاري : « وما تقرَّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليَّ ممَّا افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتى أُحبَّه ، فإذا أحبَبْتُهُ كنتُ سمعَهُ الَّذي يسمع به ، وبصرَهُ الذي يُبْصر به ، ويَدَه التي يبطش بها ، ورِجْلَهُ التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذ بي لأُعيذنَّه »[2].

أداء الفرائض يرفعك إلى منزلة القرب من الله : « وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليَّ ممَّا افترضتُ عليه » . وأداء النَّوافل يرفعك إلى مقام الحُبِّ لله سبحانه ، وهو أعلى « وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتى أحبَّه ».

البحث عن أحبِّ الأعمال إلى الله :

بل الَّذي يحبُّ الله عزَّ وجلَّ يحاول أن يبحث عن أحبِّ الأعمال إلى الله ، لا يكتفي من الأعمال بما يحبُّه الله بل بأحبِّ الأعمال . ولهذا كان الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لحرصهم على الدَّرجات العُلى والتَّسابق في مَيْدان الخيرات ـ يسألون

---

(١) متفق عليه : عن عمر بن الخطاب ، وقد سبق تخريجه صـ١٨٧ .

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى في الاستسقاء (٦١٨٨) ، وابن حبان في البر والإحسان (٣٤٧) ، عن أبي هريرة .

OBEIKAN.COM

عن أحبِّ الأعمال إلى الله ، فيقول لهم : أحبُّ الأعمال إلى الله كذا وكذا . الصَّلاة على وقتها . برُّ الوالدين . الجهاد في سبيل الله[1]. « أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ »[2].

استباق الخيرات :

هذا هو الَّذي ينبغي أن يحرص عليه المتسابقون في ميدان الخيرات : ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ (المائدة:٤٨).

من أحبَّ الله ورسوله فعليه أن يبذل ، لا يبخل بما يريده الله تعالى منه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾(التوبة:١١١)، ولذلك قدَّم الذين أحبُّوا الله تعالى الأنفس هنيَّة ، والأموال رخيصةً ، والحياة وكلَّ ما يملكون في سبيل الله ، لم يصرفهم عن ذلك شحٌّ هالع ولا جبن خالع[3] وإنَّما جاهدوا ﴿ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾

(الحجرات:١٥).

المفاصلة الحاسمة بين حب الله ورسوله ،وحب الدنيا وما يتعلق بها:

لقد وضعها القرآن مفاصلةً حاسمة بين حُبِّ الله ورسوله من جانب ، وحُبِّ الدنيا وكلّ ما يتعلق الناس به فيها من جانب آخر . ضَعْ هذا في كفّة الميزان وضَعْ تلك في الكفة الأخرى ، ثم انظر أيّ الكفتين أرجح عندك . اسمعوا هذه الآية : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٧) ، ومسلم في الإيمان (٨٥) ، كما رواه أحمد (٣٩٧٣)، والترمذي في البر والصلة (١٨٩٨)، والنسائي في المواقيت (٦١٠)، عن ابن مسعود .

(٢) متفق عليه عن عائشة ، وقد سبق تخريجه صـ١٩٧ .

(٣) يشير إلى الحديث الذي رواه أحمد في مسنده (٨٠١٠) ، من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « شر ما في الرجل : شحٌّ هالع وجبن خالع » .

OBEIKAN.COM

﴿ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة:٢٤) كلُّ هذه في كفَّة : آباؤكم ، أبناؤكم . إخوانكم ، أزواجكم ، عشيرتكم ، الأموال التي جمعتموها ، التِّجارة التي تخشون كسادها ، المساكن والأوطان التي ترضونها . إذا كان هذا كلُّه : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ (التوبة:٢٤) ، وهذا وعيدٌ وتهديدٌ ، ثم ختمه بقوله : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة:٢٤) . أما الصحابة رضوان الله عليهم فقد أجابوها صريحة : اللهُ ورسولُه ، وحُبُّ الله ورسوله ، فوق الأموال والأولاد والدِّيار والأوطان والأهل والعشيرة . ضحوا بهذا كلِّه في سبيل الله ، وتركوا كلَّ شيء لله ، هاجروا من أوطانهم ، أُخْرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربُّنا الله . تركوا الأولاد والأزواج والآباء والأبناء إذا كان ذلك حائلاً بينهم وبين حُبِّ الله ورسوله .

ربح البيع :

حينما أراد صُهَيْب أن يُهاجر ـ وهو رجلٌ رُوميُّ الأصل ولم يكن له عشيرة في مكة تحميه ـ لَحِقَ به المشركون يمنعونه من الهجرة إلى الله ورسوله ، وقالوا له : لقد جئتنا فقيرًا ثم أنت الآن صاحب مال وثروة . قال : أما إذا تريدون مالي فدونكم أدلُّكم عليه ، وأمَّا إذا أردتمَ أن تَحُولوا بيني وبين الهجرة فقد علمتم والله أنِّي من أرماكم رجلاً ، واللهِ لأرمينَّكم بكلِّ سهم في كنانتي . قالوا : ما نريد إلا المال . قال لهم : دونكم هو في المكان الفلانيّ . قالوا : نستبقيك حتى نستوثق . فذهبوا فوجدوا المال ، وأخذوه . واشترى نفسه بهذا كلِّه .

ولذلك حينما ذهب إلى المدينة قال له النبيُّ ﷺ : « يا أبا يحيى ربح البيع ، ربح البيع ، ربح البيع »[1] . قالوا : وفي مثله نزل قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (البقرة:٢٠٧) .

الذين يشترون النار ويبيعون محبَّة الله عزَّ وجلَّ :

هناك من الناس من يبيع اللهَ ورسولَه وجهادًا في سبيله بثمن بَخْس ، دراهمَ معدودة ، يبيع دينه ويبيع شرفه ويبيع كلَّ ما يحرص الناس عليه من أجل دراهم

---

(١) رواه الطبراني (٣١/٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (٤٠٠/٣)، وصحح إسناده ، ووافقه الذهبي .

ربَّما تُسْرَق منه بعد ذلك أو تُنفق ويذهب أثرها ، أو من أجل منصب ، أو من أجل شيءٍ تافه من مَتَاع الدنيا .

وما أكثر الذين باعوا الله ورسوله ورضوا بالدّون والحياة الهون . هؤلاء الذين نراهم يعصون الله تبارك وتعالى ، الذين أضاعوا الصَّلوات واتَّبعوا الشَّهوات ، الذين نراهم في كلِّ مكان يبغون في الأرض بغير الحق ، يأكلون أموال الناس بالباطل ، يستمرئون الاعتداء على البشر ، المختالون الفخورون والمغرورون بقُوَّتهم ، الذين يظنُّون أنَّ الدُّنيا دائمة لهم ، وأنَّ الموت بعيد عنهم ، وأنَّ الله تعالى ليس لهم بالمرصاد ، هؤلاء الطغاة البغاة الذين يُعَذِّبون خَلْقَ الله ، والَّذين طَغَوْا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ، هؤلاء بعيدون كلَّ البعد عن محبَّة الله ، ولا يفكِّرون في محبَّة الله .

هذا الَّذي لا يُصلِّي ، هذا الَّذي يستمرئ المعصية ، تلك المرأة التي تمشي وقد كشفت شعرها وذراعها ، تلك التي تطلُّ علينا من التِّلفاز وقد زيَّنت نفسها ليراها الناس بالملايين في كلِّ مكان من أجل أن تشتهر ، أو من أجل أن تقبض راتبًا آخر الشَّهر ، وتفتخر بذلك ، ومعصيتها مستمرة ، وتمتدُّ كلَّما رآها عددٌ أكبر وكلَّما ظهرت صورتها أكثر .

ما أكثر الَّذين يشترون النَّار ويبيعون محبَّة الله عزَّ وجلَّ ، ما أصبرهم على النَّار ، ما أرخص صنعتهم ، ما أرخص ما أخذوا وما أغلى ما تركوا .

من حِكم ابن عطاء الله :

رضي الله عن ذلك الرجل الصَّالح الذي قال : إلهي ، ماذا وَجَد مَنْ فقدك ؟ وما الذي فقد مَنْ وجدك؟ لقد خسر من رضي دونك بَدَلاً ، وقد خاب من بغى عنك حولاً ، عَمِيت عينٌ لا تراك عليها رقيبًا ، وخسرت صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبِّك نصيبا![1]

---

(١) من حكم عطاء الله الإسكندري ص ٢٠٨ .

حلاوة الإيمان :

ما أضْيَعَ أولئك الَّذين أضاعوا محبَّة الله عزَّ وجلَّ ، لم يشعروا بهذه الحلاوة التي حدَّثنا عنها رسول الله ﷺ ، فيما رواه أنس بن مالك وقد ذكرناه في هذه الخطبة : « ثلاث مَن كُنَّ فيه وجد حلاة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما ، وأن يحبَّ المرء لا يحبُّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار »[1] .

١- « أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما » :

ولا يتمُّ الإيمان إلا بذلك كما في الحديث الآخر : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين »[2] . وقد قال له عمر : يا رسول الله ، لأنت أحبُّ إليَّ من كلِّ شيء إلا من نفسي . قال : « لا ، والَّذي نفسي بيده ، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك » . وأخذ عمر يراجع نفسه ، ثم وجد ألاَّ نجاة لنفسه ، ولا خلاص لها ، ولا سعادة لها ، إلاَّ برسول الله ﷺ ، فقال : فإنه الآن لأنت أحبّ إليّ من نفسي ، فقال النبي ﷺ : « الآن يا عمر »[3] . هنا تم إيمانك .

٢- « وأن يحبَّ المرء لا يحبُّه إلا لله » :

لأنَّه من أحباب الله ـ من الَّذين يطيعون الله . من الَّذين ينصرون دينَ الله . من الَّذين يعملون لله . من الذين يفعلون الخيرات ، فيُحبُّه من أجل ذلك ، لا لقرابةٍ بينه وبينه ، لا لمصلحةٍ له عنده ، لا لخدمةٍ يرجوها منه ، إنما يُحبُّه لله . ولذلك قد يحبُّه وبينه وبينه جبال وبحار ووديان ، وربما لم يلقه في حياته قط ، لأنه يحبُّه لله .

---

(١) متفق عليه : عن أنس ، سبق تخريجه صـ٢٩٧ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (١٥) ، ومسلم (٤٣) كلاهما في الإيمان ، كما رواه أحمد (١٢٠٠٢)، والترمذي في الإيمان (٢٦٢٤) عن أنس .

(٣) رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٣٢) ، وأحمد (١٨٠٤٧) ، عن عبد الله بن هشام .

٣- «وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»:

يكره الكفر كراهية النَّار ، وإذا كره الكفر كره أهله ، فمحبَّة الله تقتضي أن تُحبَّ أولياءه وأن تكره أعداءه ، «أوثق عُرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله»[(١)].

هذه هي المحبَّة ، وقد قال الإمام الغزالي : الآيات والأحاديث والآثار فيها أكثر من أن تحصى[(٢)].

الردُّ على دعوى المستشرقين في أن المحبَّة أمر دخيل على الإسلام:

ومع هذا نجد من المستشرقين والمبشِّرين من يقول : إنَّ المحبَّة أمر دخيل على الإسلام ، وإنَّ المحبَّة إنمَّا هي في المسيحيَّة! بينما لا يوجد في المسيحيَّة إلا نصٌّ أو نصَّان . كلمة أو كلمتان عابرتان : الله محبَّة ، أو نحو ذلك . أما القرآن فهو مليء بالآيات ، والسنة مليئة بالأحاديث ، والصَّحابة والتَّابعون وأئمة الأمة رُوِيَ عنهم الآثار الكثيرة الوفيرة ، ومع هذا يقولون : إنَّ الإسلام يقوم على الخوف ولا يقوم على الحبِّ ، وإنَّ إله الإسلام هو الإله الجبَّار المنتقم وليس الإله الذي يُحَبُّ ! .

كذبوا والله ، بل الإله في الإسلام أوَّل ما يتعرَّف به على عباده : أنه (الرحمن الرحيم) . ولذلك بدأ القرآن بالبسملة ، وبدأت سوره كلها - إلا سورة واحدة - بالبسملة : بسم الله الرحمن الرحيم .

أيها الإخوة المؤمنون :

أحبُّوا الله تبارك وتعالى . من لم يشعر بهذه المحبَّة فَلْيَسْعَ إليها ، ليتعرَّف على آلاء الله تعالى وفضله ، ولْينظر جمالَ الله في خلقه ، وكمال الله تعالى بما يتجلَّى

---

(١) رواه أحمد (٢١٣٠٣) ، وقال مخرجوه : حسن لغيره ، وأبو داود في أول كتاب السنة (٤٥٩٩) ، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٣١٠) ، عن أبي ذر .

(٢) انظر ما ذكره الإمام الغزالي عن شواهد الشرع في حبِّ العبد لله تعالى في الكتاب السادس من ربع المنجيات من الإحياء وهو : كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا (٤/٢٩٣-٣٠٧) .

OBEIKAN.COM

لنا به من أفعاله ، حتى نُحبَّ الله أعظم الحبِّ . فإذا أحببنا الله أحبَّنا الله ، وإذا أحبَّنا الله كان لنا نِعْم المولى ونعم النصير .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

الخطبة الثانية :

اللهمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عِصْمة أمرنا ، وأصْلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصْلح لنا آخرتَنَا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر .

اللهمَّ اجعلنا من التوَّابين ، واجعلنا من المتطهِّرين ، واجعلنا من الصَّابرين الشَّاكرين المُحسنين المُتَّقين .

اللهمَّ اجعلنا من الذين تُحبُّهم ويُحبونك . اللهمَّ ارزقنا حُبَّك ، وحُبَّ مَنْ يُحبُّك ، وحبَّ كلِّ عمل يُقرِّبنا إلى حبِّك ، واجعل حبَّك أحبَّ إلينا من الماء البارد على الظمأ . اللهم آمين .

* * *

OBEIKAN.COM